

قبس من نور الصحابة والتابعين

د. محمود جيلاني



أبو سفيان - شيخ قريش وسيدها

المحتويات

- 3.....مقدمة
- 5.....منافسة قديمة:
- 8.....بيت كريم
- 11.....أبو سفيان وشرف الخصومة
- 14.....أبو سفيان مع هرقل:
- 17.....أبو سفيان صهر الرسول
- 18.....أبو سفيان يوم أحد:
- 20.....في الطريق إلى الاسلام
- 22.....العباس صديق أبي سفيان:
- 24.....الرسول يعالج نفسية أبي سفيان
- 25.....أبو سفيان مع النبي
- 26.....أبو سفيان مع كبار الصحابة
- 27.....أبو سفيان يوم اليرموك
- 29.....كلمة أخيرة

شخصية أبي سفيان شخصية مظلومة في تاريخنا الإسلامي لسببين فيما أرى: الأول أنه كان قائد معسكر المشركين قبل إسلامه فأكثر الروايات تتحدث عنه كافرا، حتى يظن بعض الناس أنه لم يسلم، والروايات التي تذكره بعد إسلامه قليلة جدا. أما السبب الثاني والذي بسببه ظلم أبو سفيان تاريخيا فهو أن ابنه معاوية بن أبي سفيان كان الطرف الثاني في أحداث الفتنة الكبرى زمن الإمام علي.. وبعض المؤرخين - حبا في علي رضي الله عنه يزورون التاريخ ليشوهوا صورة معاوية رضي الله عنه ولا يكتفون بذلك، بل يشوهوا صورة أبيه أبي سفيان رضي الله عنه، وصورة أمه هند بنت عتبة، ولا شك أن علي رضي الله عنه وحبه بريئان من هذا التزوير. ولعلنا هنا في هذا الكتيب نرد عن هذا الصحابي الجليل، سيد قريش في الجاهلية، وشيخها الموقر في الإسلام، وصهر رسول الله، فهو والد أم المؤمنين أم حبيبة، حفظا لرسول الله في أصحابه وأصهاره كما قال صلى الله عليه وسلم:

احفظوني في أصحابي

وأصهارى، فمن حفظني فيهم كان عليه من الله حافظ، ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله عنه، ومن تخلى الله عنه أوشك أن يأخذه

هو حديث مرسل لكن يزيد من قوته استحضار قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ .

علما بأن المصاهرة بين رسول الله ﷺ وبين بنى أمية لا تقتصر على زواجه ﷺ من السيدة أم حبيبة بنت أبي سفيان، فقد كما كانت بين بنى هاشم وبنى أمية مصاهرات أخرى قبل الإسلام وبعده، فعلى سبيل المثال فقد زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة من بناته الأربعة فى بنى أمية، فزوج زينب من أبي العاص بن الربيع وهو من بنى أمية، وزوج رقية ثم أم كلثوم من عثمان بن عفان وهو أيضا من بنى أمية.

من دخلك دار أبي سفيان فهو آمن

لطائف

منافسة قديمة

أبو سفيان، والد السيدة أم حبيبة أم المؤمنين، هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، فهو يلتقي في شرف النسب مع رسول الله في عبد مناف، فسيدنا محمد هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. وأم أبي سفيان هي صفية بنت حزن وهي عمة ميمونة أم المؤمنين، وعمة أم الفضل زوجة العباس عم النبي.

ولد أبو سفيان قبل عام الفيل بعشر سنين فهو أسن من النبي صلى الله عليه وسلم بعشر سنين لأن الرسول ولد في عام الفيل.

وعام الفيل هو العام الذي حاول فيه أبرهة حاكم اليمن من قبل ملك الحبشة هدم الكعبة، من أجل أن يجبر العرب وقريش على الذهاب إلى الكنيسة التي بناها وزينها في اليمن ويصرفهم عن الكعبة، مستعينا في ذلك بجيشه الضخم الذي زوده بعدد من الفيلة، لكن الله سبحانه حمى بيته وأرسل عليهم طيورًا أباييل تحمل معها حجارة من سجيل قتلتهم وشتت شملهم كما في سورة الفيل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ

الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ ﴿

وعلى الرغم من أن هاشما وعبد شمس ابني عبد مناف كانا شقيقين توأمين إلا أن هاشما وأولاده قد اجتمع لهم الشرف الأكبر وهو خدمة البيت والحجيج (السقاية والرفادة) حيث كان هاشم غنيا، وزاد شرف بني هاشم بعد أن حفر عبد المطلب بئر زمزم، ولعل شيئا من التنافس على هذا الشرف يفسر إحجام أبي سفيان عن الإسلام أول الأمر.

وهو ما ظهر واضحا فيما صرح به أبو جهل فيما روي من أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام والأخنس بن شريق وكانوا من أشرف قومهم خرجوا ليلة ليسمعوا رسول الله ﷺ وهو يصلي بالليل، وكل واحد منهم لا يدري مكان الآخر، ولا يعرف أن آخرين غيره يستمعون، فباتوا يستمعون حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق واكتشفوا أن ثلاثتهم باتوا يسمعون محمدا فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، لو رآكم العامة لأوقعتم في أنفسهم شيئا من الشك.

ولكن كل واحد منهم لم يطق صبرا فذهب في الليلة الثانية وهو يظن أنه وحده يستمع ليكتشفوا في الصباح أنهم رجعوا عما تعاهدوا عليه، وتكرر الأمر في الليلة الثالثة فتعاهدوا وتوثقوا ألا يعودوا فجاء الأخنس في الصباح إلى أبي سفيان، فسأله عما سمع، فقال أبو سفيان: والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها، وسمعت أشياء ما عرفت معناها، ولا ما يراد بها.

أما أبو جهل فقالها صريحة مستحضرا المنافسة القديمة:

تَنَازَعْنَا نَحْنُ وَبَنُو عَبْدِ مَنَافِ الشَّرَفِ، أَطْعَمُوا فَأَطْعَمْنَا،
وَحَمَلُوا فَحَمَلْنَا، وَأَعْطَوْا فَأَعْطَيْنَا، حَتَّى إِذَا كُنَّا كَفَرَسِي رِهَانٍ،
قَالُوا: مَنَا نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنَ السَّمَاءِ، فَمَتَى نُدْرِكُ مِثْلَ
هَذِهِ، وَاللَّهِ لَا نُؤْمِنُ بِهِ أَبَدًا وَلَا نُصَدِّقُهُ.

إذن فهم يؤمنون أنه حق لكن الكبر والعند والمنافسة على شرف زائل
منع بعضهم وآخر البعض عن الإيمان برسول الله ﷺ.

قال رسول الله ﷺ
«من سب أصحابي
فعلية لعنة الله
والملائكة والناس أجمعين»

رواه الطبراني وحسنه الألباني في ((سلسلة الأحاديث الصحيحة)) (2340).



غير أن هذا الكبر الذي ولدته المنافسة القديمة على الجاه والسلطان لن يخفي عنا حقيقة أن أبا سفيان كان بحق - حتى في الجاهلية - نموذجاً أصيلاً للعربي ذي الشرف والمروءة، بل كان بيته كله صورة رائعة للبيوتات العربية الشريفة التي تمارس الخلق في سمو لا تكاد ترى له نظيراً.

ولعلنا نبدأ بالتعرف على شيء من خصال هذا البيت بالتعرف أولاً على زوجة أبي سفيان.

هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان:

روي أن هند بنت عتبة قد تقدم لخطبتها اثنان في وقت واحد، وهما سيدان عريقان في السيادة، فقال لها أبوها: إِنَّهُ قَدْ خَطَبَكَ رَجُلَانِ مِنْ قَوْمِكَ وَلَسْتُ مُسَمِّيًا لَكَ وَاحِدًا مِنْهُمَا حَتَّى أَصِفَهُ لَكَ: أما الأول (وهو سهيل بن عمرو) ففي ثروة واسعة من العيش، إن تابعتَه تابَعك، وإن ملت عنه حطَّ إليك، تَقْضِينَ عَلَيْهِ فِي مَالِهِ، وَتَكْتَفِينَ بِرَأْيِكَ عَنْ مَشُورَتِهِ، وأما الآخر (وهو أبو سفيان) فمَنْظُورٌ إِلَيْهِ فِي الْحَسْبِ الْحَسِيبِ، وَالرَّأْيِ الْأَرِيبِ، عَزَّ عَشِيرَتُهُ، يُؤَدِّبُ أَهْلَهُ وَلَا يُؤَدِّبُونَهُ، إِنْ اتَّبَعُوهُ أَسْهَلَ بِهِمْ، وَإِنْ جَانَبُوهُ تَوَعَّرَ عَلَيْهِمْ، شَدِيدُ الْعَيْرَةِ، سَرِيعُ الطَّيْرَةِ.

وشتان ما بين الرجلين وبين الحياة معهما... فالأول تعيش عنده أميرة تأمر فيطيعها ويعطيها ما تريد، والثاني تعيش معه وهي أقرب إلى الجارية. ولكن المفاجأة أن هند اختارت الثاني وقالت: أما الأول فسيد مضياح لكريمته وأما الآخر

فَبَعَلَ الْهَرَّةَ الْكَرِيمَةَ.

فتزوجها أبو سفيان وأنجبت منه مجموعة من الأبناء كان منهم معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنه.

وكان معاوية يوماً مع أمه هند بنت عتبة، فرآه أحد حكماء العرب من أهل الفراسة فقال لأمه: إن ابنك هذا سَيَسُودُ قومه. فقالت هند:

عَدِمَتْهُ إِنْ لَمْ يَسُدْ إِلا قَوْمَهُ

فهي تريد منه أن يسود العرب بأجمعهم وليس فقط قومه!!.

وعلى هذه الهمة ربت هند معاوية بن أبي سفيان حتى ساد العرب والعجم. وهذه الصورة الرفيعة في الجاهلية للبيوتات الشريفة، ظهرت واضحة في كثير من المواقف منها ما نذكر بعضه هنا.

ونشير هنا إلى أن الكثيرين من المحققين القدامى والمحدثين منهم ابن كثير والشيخ الألباني وغيرهما قد ضعفوا رواية أن هند بنت عتبة أكلت كبد حمزة يوم أحد، وهي الرواية التي لا تخلوا منها كتب التاريخ، وفي

ظنى أنها من وضع من أراد تشويه صورة معاوية فهو يشوه صورة أبيه
وصورة أمه.

والخلاصة في هذا الموضوع أن التمثيل بحمزة رضي الله عنه وشق
بطنه بعد استشهاده ثابت وصحيح، أما ما ورد من استخراج كبده وتناول
هند بنت عتبة منها وعدم استساغتها إياها فلا يثبت فيه شيء.

وعموماً، فقد أسلمت هند وحسن إسلامها وبايعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم، وفي رواية عن عائشة رضي الله عنها، قالت: " جَاءَتْ هِنْدُ
بِنْتُ عُتْبَةَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا كَانَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ مِنْ أَهْلِ
خِבَاءٍ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ يَذُلُّوا مِنْ أَهْلِ خِبَائِكَ (أهل بيتك)، ثُمَّ مَا أَصْبَحَ الْيَوْمَ
عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَهْلُ خِبَاءٍ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ يَعِزُّوا مِنْ أَهْلِ خِبَائِكَ رواه
البخاري ومسلم.



سلطان

أبو سفيان وشرف الخصومة

شاءت إرادة الله أن يأتي الإسلام وأبو سفيان سيّد لقريش، كان حَكَمًا بين الناس وكان عزيزا شريفا مقدما، وكانت عنده راية قريش في الحرب، لكن لما جاء الإسلام أبت العداوة الشخصية والقبلية والمنافسة القديمة بين بطون قريش إلا أن تجعل أبا سفيان الرجل الشريف ذا الرأي والمشورة في عداد معسكر الكفر بل وقائده، لكن الغريب أن موقعه هذا لم ينسه أن السيادة شرفٌ ومروءةٌ، ومن هنا ظهر أبو سفيان في خصومته مع الرسول كنموذج فذ للخصم الشريف.

وتتجلى مروءة أبي سفيان ومروءة زوجته هند في موقفهما يوم أن هاجرت زينب بنت رسول الله بعد غزوة بدر، وكانت متزوجة من أبي العاص بن الربيع (ابن خالتها هالة بنت خويلد)، وكان لا يزال مشركا، وكانت قريش في قمة حزنها علي قتلها يوم بدر، وهي تبحث عن شيء تكيّد فيه لرسول الله وللمسلمين، وهل هناك أشد على الرسول من إيذاء ابنته وهي بين أيديهم، وهذا ما حاوله بعض سفهاء قريش.

فبلغ الخبر هند بنت عتبة زوج أبي سفيان، فذهبت هند (رغم أن هند قد قُتل أبوها وأخوها وعمها يوم بدر) إلى زينب في بيتها وقالت: "أي ابنة محمد، إنه بلغني أنك تريدين اللحاق بأبيك"، فقالت زينب وهي متوجسة خوفا منها: "ما أردت ذلك"، لكن المفاجأة جاءت سريعا فردت

هند:

”أي ابنة عمي، إن كانت لك حاجة من متاع أو مال تبغين به أباك، فإن عندي حاجتك.”

وكانت هند صادقة فيما تقول، وما قالت إلا لتفعل، ولما رأت أن زينب مترددة من هول المفاجأة قالت: ” أي ابنة عمي، لا تستحي مني فإنه لا يدخل بين النساء ما يدخل بين الرجال ..“ فقالت زينب وقد هدأت واطمأنت: لم أعزم بعد، ولو عزمت لأخبرتكم، جزيت خيرا يا بنت عمي.

أما تكملة القصة فعند أبي سفيان نفسه فقد خرجت زينب بالفعل مهاجرة، وخرج بها شقيق زوجها كنانة بن العاص (وهو في نفس الوقت ابن خالتها هالة بنت خويلد) ومعه قوسه وقد أركبها بعيرا وخرج بها نهارا (وكان لا يزال كافرا ولكن خرج حماية لزوجته أخيه وبنت خالته)، فهاج رجال قريش لهذا التحدي السافر فخرجوا في طلبها، فروعوها بالرمح وهي في هودجها، وكانت زينب حاملا، فسقطت وسقط جنينها ونزفت دما.

فعند ذلك وقف كنانة بن العاص وفي يده قوسه وأقسم أن لا يدنو منها أحد إلا قتله، فبلغ الأمر أبا سفيان فجاء مسرعا ومعه وجهاء قريش والناس ينظرون ماذا سيصنع كنانة بن العاص.

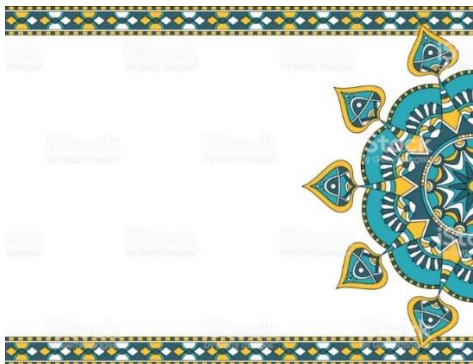
فقال أبو سفيان: أيها الرجل... كُف عنا نبلك حتي نكلمك، فكف كنانة قوسه. فأقبل عليه أبو سفيان وقال له في عقل وهدوء وبصوت خفيض:

**إنك لم تُصب، أخرجت المرأة على رؤوس الناس علانية وقد
عرفت مصيبتنا وما أدخل علينا محمد، أتظن الناس
يتركونك فتزيدنا ذلاً على مصيبتنا...**

**ارجع بالمرأة الآن حتى تهدأ الأصوات وتتحدث الناس أن قد
رددناها، ثم خذها سرا وألقها أباه.**

وفعل كنانة ما نصحه به أبو سفيان، فرجعت زينب ومكثت أياماً، ثم
خرجت سرا كما خطط أبو سفيان...

ويا له من موقف كريم نبيل من رجل موتور قُتل ابنه حنظلة يوم بدر
وأسر ابنه الآخر ومع ذلك تحكم المرءة والشرف خصومته مع أعدائه.



أبو سفيان مع هرقل

وظهر مثال آخر لهذا الشرف في الخصومة يوم أن جاء كتاب رسول الله ﷺ إلى هرقل ملك الروم يدعو للإسلام فقال هرقل: هل هنا أحد من قوم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ قالوا نعم. فجئ بأبي سفيان ومن معه وكانوا بالشام في تجارة لقريش. وكلمهم هرقل من خلال ترجمانه فقال: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ: أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا. فَقَالَ هِرَقْلُ: أَذْنُوهُ مِنِّي، وَقَرَّبُوا أَصْحَابَهُ، فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ. ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُمْ أَنِّي سَأِلْتُ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَإِنْ كَذَّبَنِي فَكَذِّبُوهُ.

قال أبو سفيان: والله لو كذبت ما ردوا علي، ولولا الحياء من أن يأتروا علي كذبا لكذبت عنه،

لكني كنت امرؤ سيدا أكرم وأستحي من الكذب.

يقول أبو سفيان: فكان أول ما سألتني عنه أن قال: كيف نسبته فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب. قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا. قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا. قال: فأشرف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم يتقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدة لا

نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا. قَالَ أَبُو سَفِيَانَ: وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةً أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ. قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ قِتَالَكُمْ إِيَّاهُ؟ قُلْتُ: الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ، يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ. قَالَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُ اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرَكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعَقَابِ وَالصِّلَةِ.

لقد قدّم أبو سفيان صورة شاملة عن الرسول ﷺ، وهي صورة صادقة، توضّح أنّ أبا سفيان كان منصفاً نزيهاً حتى وهو مشرك. كما كان هرقل دقيقاً في أسئلته، ومما يدل على لك ما ورد في بقية القصة حيث يتبين لنا لماذا سأل تحديداً هذه الأسئلة:

قال هرقل لِلتَّرْجُمَانِ: قُلْ لَهُ: سَأَلْتُكَ عَن نَسَبِهِ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ: لَا، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ لَقُلْتُ: رَجُلٌ يَأْتِسِي بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ: لَا، قُلْتُ: فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ: رَجُلٌ يَطْلُبُ مَلِكَ أَبِيهِ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ: لَا، فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ، وَسَأَلْتُكَ: أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ، أَمْ ضَعَفَاؤُهُمْ؟ فَذَكَرْتَ: أَنَّ ضَعَفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ، وَسَأَلْتُكَ: أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ فَذَكَرْتَ: أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ، وَسَأَلْتُكَ: أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخَطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ: لَا، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ

تُخَالِطُ بِشَاشَتِهِ الْقُلُوبَ، وَسَأَلْتِكَ: هَلْ يَغْدِرُ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ: لَأَ، وَكَذَلِكَ
الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ، وَسَأَلْتِكَ: بِمَا يَأْمُرُكُمْ؟ فَذَكَرْتَ: أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا
اللَّهَ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَاكُمْ عَنِ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ
وَالصِّدْقِ وَالْعِفَافِ.

فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمُكُ مَوْضِعَ قَدَمِي هَاتَيْنِ،

وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي
أَخْلَصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ،

وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ.

قَالَ أَبُو سَفْيَانَ: فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ، كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّحْبُ، وَارْتَفَعَتِ
الْأَصْوَاتُ وَأُخْرِجْنَا، فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا: لَقَدْ بَلَغَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي
كَبْشَةَ (يقصد سيدنا محمد)، إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ.

يَقُولُ أَبُو سَفْيَانَ: فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيُظْهِرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ
الْإِسْلَامَ. **صحيح البخاري.**



أبو سفيان صخر الرسول

كانت السيدة أم حبيبة (رملة بنت أبي سفيان) من المسلمين الأوائل وهاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش مع من هاجر من الصحابة إلى الحبشة، فلما مات زوجها بالحبشة رأت أم حبيبة في منامها كأنَّ آتياً يقول: يا أمَّ المؤمنين، قالت: فأولَّتها أن رسول الله يتزوَّجني، فما هو إلاَّ أن انقضت عِدَّتِي حتى أرسل النجاشي إليَّ: أن وِكلِي مَنْ يُزَوِّجُكَ. فأرسلتُ خالدَ بن سعيد بن العاص، فوَكَّلْتُهُ (وكان من بنى أمية وهو أقرب المهاجرين نسبا إليها)، وأمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومَنْ هُنَاكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فحَضَرُوا، فخطب النجاشي (وكان النجاشي قد أسلم) فقال: إن رسول الله كتب إليَّ أن أزوجه أمَّ حبيبة بنت أبي سفيان، فأجبتُ إلى ما دعا إليه رسول الله، وقد أصدقتُها أربعمئة دينار (دفعها النجاشي نيابة عن رسول الله).

ولما علم أبو سفيان أن محمداً خطب ابنته أم حبيبة وهي بالحبشة بعد أن مات عنها زوجها هناك قال:

” هو الفحل لا يجدء أنفه ”

أي أنه الكفاء الكريم الذي لا يُعاب ولا يُرَد. وفي هذه العبارة دليل جديد على أن خصومة أبي سفيان فيها شرف فلا يتكلم عن غريمه إلا بما هو أهله.

أبو سفيان يوم أحد

لم يحضر أبو سفيان وقعة بدر فقد كان على رأس القافلة التي خرج المسلمون للسيطرة عليها غير أن أبا سفيان نجح في تأمينها والعودة بها لمكة سالمة.

فلما كانت غزوة أحد جعلت قريش القيادة لأبي سفيان وحده، ولم تجمع لفرد واحد من قبل إلا للمطلب يوم قاتلت قريش بني كنانة قبل بعثة النبي بسنين.

وها هو في المعركة يحمس الناس للحرب فيأتي إلى بني عبد الدار وهم حملة اللواء: فيقول يا بني عبد الدار إنكم فررتم يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم، وإنما يؤتي الناس من قبل راياتهم إذا سقطت سقطوا، فإما أن تكفونا لواءنا وإما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه، فتواعدوا وقالوا: نحن نسلم اللواء؟! ستعلم غدا إذا التقينا كيف نصنع؟ وهذا ما أراده أبو سفيان بذكائه فزادت حميتهم.

وكان من وراء أبي سفيان زوجه هند تصرخ فيهم لتزيد حماسهم:

ويها بني عبد الدار ضربا بكل بتر

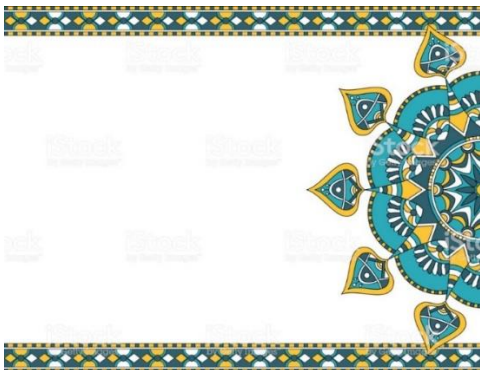
فحمل بنو عبد الدار اللواء يوم أحد بكل عزيمة حتى قتل منهم أحد عشر رجلا فلم يبق من رجالهم سوى عبد من عبيدهم خرج معهم فأخذ

اللواء فقطعت يمينه فأخذه بشماله وهو يقول: يا بني عبد الدار: هل أعذرت؟! وأعجب إلى هذه الدرجة كان الكفار يدافعون عن باطلهم!! وانهزم المسلمون يوم أحد كما هو معلوم، غير أن العجيب أن نشوة الانتصار ولذة الانتقام لا تفقد هذا الرجل مروءته وشرفه، فيتوجه إلى المسلمين (بعدما رأى المثلة التي أحدثها المشركون في جثث المسلمين من تمزيق وتقطيع) قائلاً:

” إنكم ستجدون في القوم مُثلة، لم أمر بها ”

غير أن كبريائه جعله يقول:

” ولم تسؤني ”



سلطان

في الطريق إلى الإسلام

بدأ الإسلام لأول مرة يلامس قلب أبي سفيان حين وقعت مجموعة من المسلمين غدرا في الأسر يوم الرجيع.

فبعد غزوة أحد جاء للنبي صلى الله عليه وسلم وفدٌ من قبائل عُضَل والقارّة، فقالوا: يا رسول الله؛ إن فينا إسلامًا، فابعث معنا نفرًا من أصحابك، يفقهوننا في الدين، ويقرئونا القرآن، فبعث رسول الله معهم نفرًا من أصحابه؛ وهم: مرثد بن أبي مرثد، وخالد بن البكير، وعاصم بن ثابت، وخُبيب بن عدي، وزيد بن الدثنة، وعبد الله بن طارق.

وأمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْقَوْمِ مَرْتَدُ بْنُ أَبِي مَرْتَدٍ، فخرج مع القوم، حتى إذا كانوا على بئر ماء يسمى الرجيع، غدروا بهم؛ ففوجيء المسلمون، وهم في رحالهم، بالرجال وفي أيديهم السيوف، ومعهم ما يقرب من مائة رامٍ، وأحاطوا بهم، فأخذ المسلمون أسيافهم ليقاتلوهم، فقالوا لهم المشركون: إنا والله ما نريد قتلكم، ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئًا من أهل مكة، ولكم عهد الله وميثاقه ألا نقتلكم.

فأما مرثد بن أبي مرثد، وخالد بن البكير، وعاصم بن ثابت، فقالوا: والله لا نقبل من مشرك عهدًا ولا عقدًا أبدًا. فقاتل الثلاثة حتى قتلوا.

وأما زيد بن الدثنة وخبيب بن عدي وعبد الله بن طارق، فلانوا ورقوا ورجبوا في الحياة، فاستسلموا فأسروهم ثم خرجوا بهم إلى مكة، ليبيعوهم

بها، حتى إذا كانوا ببعض الطريق انتزع عبد الله بن طارق يده من القيد ثم أخذ سيفه، فقاتلهم حتى قتل. وأما خبيب بن عدي، وزيد بن الدثنة، فقدموا بهما مكة، فباعوهما.

فابتاع صفوان بن أمية زيد بن الدثنة رضي الله عنه ليقنله بأبيه أمية بن خلف، وخرجوا به خارج الحرم ليقنلوه وخرج معهم أبو سفيان.

فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ حِينَ قُدِّمَ زَيْدٌ لِيُقْتَلَ: نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ يَا زَيْدُ، أَتُحِبُّ أَنْ مُحَمَّدًا مَكَانَكَ، يُضْرَبُ عَنْقُهُ وَأَنْتَ فِي أَهْلِكَ؟ فَقَالَ زَيْدُ:

وَاللَّهِ مَا أَحِبُّ أَنْ مُحَمَّدًا فِي مَكَانِهِ يُصِيبَهُ شَوْكَةٌ تُؤْذِيهِ، وَأَنَا فِي أَهْلِي.

فأيقظ هذا الجواب شيئاً في قلب أبي سفيان وقال:

مَا رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ، أَحَدًا يُحِبُّ أَحَدًا كَحُبِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا!!..حديث صحيح



العباس صديق أبي سفيان

لما نكثت قريش عهدا المتفق عليه في صلح الحديبية بأن قتل حلفاؤها اثنين من قبيلة خزاعة حلفاء رسول الله خرج رسول في جيش عظيم باتجاه مكة، وكان العباس عم النبي خارج مكة فكان هو أول من رأى الجيش. والتقى يومها بأبي سفيان، فناداه العباس: يا أبا حنظلة، فقال: أبو الفضل؟ قلت: نعم؛ قال: من هؤلاء فداك أبي وأمي؟ فوالله ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكريا مثل هذا، قال العباس: ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله في الناس. واصباح قريش والله. قال أبو سفيان: فما الحيلة؟ .

وكان العباس صديقا لأبي سفيان رضي الله عنهما كما ذكرت أغلب الروايات، وهنا تظهر صورة رائعة للصداقة الحقيقية حين يعرف الصديق نقطة ضعف صديقه فيستغلها لتصبح نقطة قوة لا نقطة ضعف، وكان العباس يعرف أن مشكلة أبي سفيان هي كبرياؤه.

فقال له العباس: " والله لئن ظُفر بك ليضربن عنقك فاركب خلفي على هذه البغلة، حتى آتي بك رسول الله فأستأمن لك، فكانت هذه العبارة طوق النجاة لأبي سفيان الغارق.

يقول العباس: فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَوْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: وَيْحَكَ يَا أبا سُفْيَانَ! أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟! قَالَ أَبُو سُفْيَانَ بِأَمَانَةٍ وَصَدَقَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي،

ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! لو كان هناك إله مع الله يُشاركه في ملكه لنفَعني.

ويبدو من كلامه أنه يريد أن يقول أنه لم يعد مشركا، لكنه لم يؤمن بعد بالرسول نبيا، فقال **صَلِّ عَلَيْنَا وَسَلِّمْ**: ويحك يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أنني رسول الله؟! قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! أما هذه فإن في النفس حتى الآن منها شيء، فقال له العباس: ويحك أسلم، واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، قبل أن يضرب عنقك. "فأسلم". لكن يبدو أن نفسه لا يزال يعلق بها شيء.

وأحس رسول الله أن ثمة شيء بالفعل عالق في نفس أبي سفيان، فطلب من عمه العباس أن يقف به عند مضيق الوادي حتى تمر به جنود الله... فاندesh أبو سفيان من حجم جيش المسلمين والقبائل التي أسلمت وقال للعباس: ما لأحدٍ بهؤلاءٍ قبيلٍ والله يا أبا الفضل،

لقد أصبح ملكُ ابنِ أخيك الغداةَ عظيماً...

فيستغل العباس من نفسه ذلك قائلاً:

ويحك إنها النبوة

وهنا تصفو نفس أبي سفيان تماماً فيقول: فنعم إذن.

الرسول يعالج نفسية أبي سفيان

وتستمر صداقة العباس الصادقة لأبي سفيان، فهو يسمع المنادى ينادى في أهل مكة من أغلق عليه داره فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، فجاء العباس إلى رسول الله: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر، فلو جعلت له شيئاً فقال **صَلِّتُمْ وَسَلَّمْتُمْ** نَعَمْ:

مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سَفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ. صحيح أبي داود

فالرسول يحب ألا تهون نفوس أصحابه وما أراد الإسلام لهم إلا العزة، فيجعل لأبي سفيان شيئاً خاصاً يوم الفتح فيحس أبو سفيان أن الإسلام ما جاء له بشرٍ وإنما تحفظ في الإسلام للناس أقدارهم فكيف بسيد قريش؟!

ويستمر الرسول الحكيم في علاج نفسية أبي سفيان فيجعله أميراً على رأس من يذهبون لهدم أكبر صنم في الجاهلية وهو اللات.

ثم في غزوة حنين يجعل له ولأولاده من الغنيمة الشيء الكبير ليتألف قلوبهم ويحببهم في الإسلام فيقول أبو سفيان:

**وَاللَّهِ إِنَّكَ لَكَرِيمٌ.. فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، وَاللَّهِ لَقَدْ حَارِبْنَاكَ فَلْنَعْمِ
لِلْحَارِبِ كُنْتَ، وَقَدْ سَأَلْنَاكَ فَلْنَعْمِ الْمَسَالِمَ أَنْتَ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا.**

أبو سفيان مع النبي

❖ و ظل أبو سفيان طوال حياة النبي عزيزا مكرما، حتى أنه في أحد المرات أذن رسولُ الله ﷺ لقريشٍ بالدخول عليه، وأخَّرَ أبا سفيانَ، ثم أذن له في نهاية الأمر. فقال أبو سفيان: لقد ظننتُ أنك تأذن للحجارة قبلي!!! فقال ﷺ: وما أنت وذاك يا أبا سفيانَ؟ إنما أنت كما قال الأول: كلُّ الصيد في جوفِ الفِرا. بمعنى أن لك وحدك مثل ما لهم كلهم، وهو يُضرب أيضا فيمن يفوق أقرانه، وأبو سفيان يعلم ذلك، فارتاح لهذا التفسير.

❖ وكان ﷺ يصادقه ويمارحه.. حتى أن أبا سفيان كان يوما عند رسول الله في بيت ابنته أم حبيبة فتذاكرا أيام الجاهلية والحرب بينهما، فقال أبو سفيان للرسول ﷺ: والله إن هو إلا أن تركتُك أنا فتركتُك العرب، ورسول الله ﷺ يضحك ويقول:

أنت تقول هذا يا أبا حنظلة !!

❖ وصار أبو سفيان مجاهدا مع رسول الله، فخرج معه يوم الطائف فأصيبت عينه فأتي النبي ﷺ: " فقال: "هذه عيني أصيبت في سبيل الله" فقال ﷺ: "أيما أحب إليك: عين في الجنة أو أدعو الله أن يردها عليك؟ فقال: "بل عين في الجنة" رواه أحمد، ثم فقد عينه الأخرى في قتال يوم اليرموك.

أبو سفيان مع كبار الصحابة

من الواضح أن كبار الصحابة كانوا يعرفون لأبي سفيان قدره حتى وهو مشرك، ففي فترة الهدنة بعد صلح الحديبية جاء أبو سفيان إلى رسول الله يطلب تجديد الهدنة، فمر في طريقه بسلمان وصهيب وبلال في نفر من الصحابة، فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها، فسمعهم أبو بكر فقال لهم:

أقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم. رواه مسلم

في موقف أصيل من أبي بكر الصديق يظهر معرفته بقيم الرجال، رغم أن أبا سفيان كان لا يزال مشركا، لكن قيمة أبي سفيان وشرف خصومته لا يقدرها إلا أمثال أبي بكر.

وكان عمر بن الخطاب يعرف قيمة بيت أبي سفيان بين العرب، فولى ابنه يزيد بن أبي سفيان ولاية دمشق وهي أكبر ولاية وقتها بعد مكة والمدينة، ولما مات يزيد بن أبي سفيان جاء عمر معزيا لأبي سفيان، وجعل ابنه الثاني معاوية بن أبي سفيان واليا على الشام خلفا لأخيه، فقال أبو سفيان: وصلتكم رحم يا أمير المؤمنين.



أبو سفيان يوم اليرموك

قال ابن كثير: إن الصحابة لما اجتمعوا للمشورة في كيفية المسير إلى الروم، جلس الأمراء يتشاورون فجاء أبو سفيان رضي الله عنه فقال مبتسماً: ما كنت أظن أن تجلس غلمان قريش يتشاورون في الحرب دوني!!، فرحبوا به وجلس معهم، بل هو الذي أشار أن يتجزأ الجيش ثلاثة أجزاء، فيسير ثلثه فينزلون تجاه الروم، ثم تسير الأتقال والذراري، والنساء في ثلث آخر، ويتأخر خالد بالثلث الأخير كرديف للجيش بحيث يكون البر والصحراء من وراء ظهورهم فيصل إليهم المدد. فامتثلوا لما أشار به أبو سفيان.

ونعم الرأي كان هو، كما يقول ابن كثير.

وكان أبو سفيان يوم اليرموك هو القاص (مثل راوي القصص الذي يحمس الناس للحرب)، ولم يتبين الناس من الأصوات يومئذ إلا صوت رجل يقول:

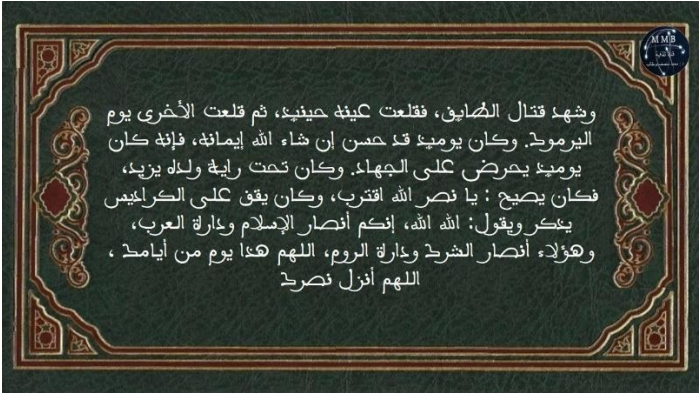
يا نصر الله اقترب،

فنظروا فإذا هو أبو سفيان يقاتل تحت راية ابنه يزيد كما ذكر سعيد بن المسيب في الحديث الصحيح.

وذكر ابن عساكر في تاريخ دمشق أن أبا سفيان كان يقف يوم اليرموك على كتائب الخيل ويقول: الله.. الله، إنكم أنصار الإسلام. وهؤلاء أنصار الشرك، اللهم هذا يوم من أيامك، اللهم أنزل علينا نصرك.

وذهب إلى النساء فوصاهن، وحرصهن، فقال:

من رأيتنه فاراً فاضربنه بهذه الأحجار والعصى، حتى يرجع.



كلمة أخيرة

قبل إسلام أبي سفيان بلحظات جاء عمرُ رضي الله عنه فقال يا رسول الله هذا أبو سفيان رأس الشرك قد أمكن الله منه بلا عقدٍ ولا عهدٍ فدعني أضربُ عنقه. وأراد بالفعل أن يقتله لولا أن العباس منعه.

فلما أسلم أبو سفيان صار عمر يحترمه ويقدمه ويجله لأنه كبير بني أمية.. وكان لعمر فراش في بيته لا يجلس عليه إلا العباس عم الرسول

الله وأبو سفيان بن حرب، وهذه من عظمة عمر، وعظمة الإسلام ﴿ وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ قَالْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ

اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٣﴾ .

فانظر ماذا يصنع الإسلام بالقلوب !!!

ومات أبو سفيان وعمره ٨٨ عاما في خلافة سيدنا عثمان، صحابيا كريما شريفا ذا مروءة وشهامة.



هذه الكتيبات

هذه المحاولة في تلخيص تاريخ الشخصيات المميزة عبر تاريخنا الإسلامي أخذت منى سنين طويلة حتى أصل إلى هذه النتيجة.

ومن وجهة نظرى تتميز هذه الكتيبات بما يلى:

- 1- جميع الأحاديث النبوية الواردة فى الكتيبات تم تخريجها للتأكد من صحتها. مع تجنب ذكر أي رواية غير موثقة.
- 2- التركيز فقط على الجوانب الإيمانية والخلقية في الشخصية.
- 3- التعليقات فى الحدود الدنيا، منعا للتطويل لكنى أضفت كلمة أخيرة في نهاية معظم الشخصيات للحديث عن أبرز سمة.
- 4- اللغة السهلة في الكتابة لتتناسب عموم الناس.
- 5- الحجم الصغير بحيث لا يستغرق قراءته أكثر من 20 دقيقة.

في النهاية **أؤكد على أنى لست عالم دين، ولكنى مسلم عادى يحاول خدمة دينه** بعرض هذه النماذج من تاريخنا بالصورة اللائقة دون تزويق أو تزوير، بهدف الاقتداء المستتير بهذه الشخصيات.

جميع الكتيبات تجدها في موقعى www.drgilany.com

هذه الكتيبات وقف لله تعالى على روح والدتى رحمها الله.